

● المبحث الثاني: المنهج الاجتماعي عند العرب:

● عند العرب القدامى:

انطلق المنهج الاجتماعي من جذور غربية، فقد ظهرت بوادره عند اليونان القدامى ثم تطور على يد علماء ومفكرين غربيين أوروبيين وغير أوروبيين، ومع ذلك أنه لم يسلم من قبضة العلماء العرب فمن علم لهم نصيب، فكانت لهم بصمة في دراسة المنهج الاجتماعي من خلال ما قدمه كل من ابن سينا وابن رشد والفارابي وهو ما يرتبط بقضية المحاكاة عند أفلاطون.

فقد تحدث كثير من النقاد الغربيون على أن عمل الفلاسفة العرب والمسلمين وخصوصا ابن سينا وابن رشد والفارابي، كان يهدف إلى ربط الأفكار اليونانية التي وردت في كتاب الشعر ل: أرسطو بأدب وشعر البيئة العربية التي استمد كل من هؤلاء نماذجهم الأدبية منها، محاولين الإشارة مثلا إلى طبيعة النقد الأدبي الاجتماعي المقارن، حين ربطوا خصوصا بين تطلك الأفكار الأرسطية اليونانية المشروحة على ضوء الواقع الأدبي الاجتماعي.

إضافة إلى أن عمل هؤلاء الفلاسفة، كان يطمح لتأسيس نظرية جديدة في المعرفة من خلال مفهوم المحاكاة والتخييل، تقوم على الفصل أساسا بين نوعين من الأحكام: "الأحكام التحليلية" هي التي يكون محمولها متضمنا في موضوعها و "خلافها التركيبية" التي نادى بها الفيلسوف اليوناني كانط.

أما لدى الفلاسفة المسلمين فنحن نجد بحثا مخصصا للتمييز ما بين نوعين من القضايا الحقيقية والقضايا الخارجية، ويرى بعض الباحثين أن مرد هذا التمييز يعود إلى اختلاف في مفهوم القضية الحملية بين الفارابي وابن سينا¹.

من هنا يمكن القول أن نظرية الفلاسفة المسلمين في المعرفة، من خلال مفهوم المحاكاة والتخييل، قد استقرت أخيرا، بناء على الأحكام التحليلية والتركيبية في قراءة المبتدع (الشعر مثلا) على أن قيمة العمل الفني غير مرتبطة بالصدق أو بالكذب من حيث محاكاتها لما هو واقع في عالم الحس، ولكنها كامنة في حاجة المتلقي هذا العمل، واستهلاكه له لكي يداوي علله ويشفي غليله ويشبع جوعه الجمالي دونما حاجة لحكم أخلاقي على صدقه أو كذبه².

¹ ينظر: قصي الحسين: سوسيولوجيا الأدب، دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع، ص 173-179.

² ينظر: المرجع السابق، ص 180.

فمن "ابن سينا وابن رشد والفارابي" وما اجتمعوا عليه من أفكار تصب في الإطار الاجتماعي وخاصة المحاكاة والتخييل تنتقل إلى "ابن خلدون" عالم لاجتماع ومؤسسه الحقيقي عند العرب لنعرج على جملة المقولات والأفكار التي جاء بها في الإطار السوسيولوجي وحلقة علم الاجتماع.

● عبد الرحمان ابن خلدون:

ولد "عبد الرحمان ابن خلدون" في 27 مايو 1332م في تونس بإفريقيا، في أسرة نشأت على تولي مناصب الرئاسة والحكم والوزارة، مما أورثه حب التقرب من السلطة والسلطان. ومنذ بلوغه سن التعلم بدأ الطفل "عبد الرحمان" في حفظ القرآن وتجويده، ثم تتبع العلوم الشرعية واللسانية. فغدا فيما بعد وزيرا وحاجبا وسفيرا ومدرسا قاضيا وخطيبا. انقسمت حياته بين سياسية وعلمية، بسبب البيئة التي حضنته ورعته. والتي بثت في نفسه (حب المنصب والجاه من ناحية، وحب العلم من ناحية أخرى)¹.

إن "ابن خلدون" هو أول باحث كان له منهجه المميز على صعيد البحث العلمي، فهو أول من نادى بضرورة إنشاء "علم العمران البشري" الذي رمى فيما رمى إليه، الاجتماع الإنساني وظاهراته. فالاجتماع هو مدخل المدنية، وهو أصل العمران.

منهج ابن خلدون:

حاول "ابن خلدون" أن يمنع منهجا لجميع العلماء الذين يبحثون في قضايا الاجتماع الإنساني. من أبرز عناصر هذا المنهج الأمور التالية:

- 1- طالب الباحثين بأن لا يقبلوا شيئا على أنه حق، إلا بعد أن يتأكدوا بوضوح من صدق حقيقته. يقول: (لا تتقن بما يلقي إليك من ذلك، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة، يقع لك تمحيصها بأحسن وجه).
- 2- ضرورة المقارنة بين حال الظاهرة في الماضي وحالها في الحاضر.
- 3- ضرورة التوصل إلى صياغة القوانين التي تحكم علم العمران، إذ أن الوصول إلى هذه القوانين وظيفه من وظائف العلم.

¹ د- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت (العدد 214-1982) ص79.

أ- الجانب الأول: ويتمثل في القيام بملاحظات حسية وتاريخية قوامها جمع المواد الأولية لموضوع البحث من المشاهدات ومن بطون التاريخ.

ب- الجانب الآخر: يتمثل في القيام بعمليات عقلية يجريها علم هذه المواد الأولية ويصل بفضلها إلى الغرض الذي قصد إليه من هذا العلم، وهو الكشف عما يحكم الظواهر العمرانية من قوانين¹.

إن "ابن خلدون"، يعد بنظرنا، أول باحث اجتماعي وضع أسسا علمية استنتجها بنفسه من واقع الحال الذي كان يسود المجتمع العربي حتى زمانه. وقد بنى هذه الأسس العلمية على ملاحظاته الدقيقة التي كانت تسير أغوار المجتمع بطريقة علمية تحليلية، شارحا حيناً ومعللاً حيناً آخر، بحيث استطاع أن يسبق جميع الباحثين في زمانه إلى وضع أسس نظرية متكاملة في علم العمران الاجتماع

¹ ابن خلدون أول مؤسس لعلم الاجتماع. د- عبد الواحد وافي، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. القاهرة، يناير 1962 : ص 64-78.

